



العاصفة مجلة

المجلد الرابع، ٢٠١٢ م

ISSN : 840-2277-9914



قسم العربية، كلية الجامعة
ثرونتبرم - ٦٩٥٠٣٤، كيرالا، الهند

هجرة النصوص : دراسة تحليلية حول ترجمة عربية لرواية (شمين Chemmeen)

عبد الجليل. م

أستاذ مساعد، قسم العربية، كلية فاروق، كالقوت، كيرلا، الهند

أن للترجمة أهمية بالغة في للتبادل الثقافي بين الشعبين، وهي لا تزال ذريعة للتفاعل الثقافي الثنائي، وأن الترجمة هي عملية نقل النص من لغة المصدر إلى لغة الهدف، وفي الترجمة الأدبية تهاجر النصوص تماما من فضاء إلى فضاء، ويتحلى بهوية جديدة في ذاك الفضاء لما أن القابلية للترجمة (translatability) تتعدم ويلد بها إبداع مستقل، وهذه دراسة تحليلية حول الظواهر في الترجمة العربية لرواية "شمين" بناء على نظريات الترجمة الأدبية.



"شمين": أنموذجاً لهجرة النص الأدبي الهندي

"شمين" إحدى الروايات الهندية الحديثة من المستوى العالي لمؤلفه تكازي شيو شكارا بلاي، وهي قصة من اللغة المليالمية إحدى لغات الهند الرئيسية، نالت جائزة "أكاديمية الآداب الهندية" في عام ١٩٦٧، واختارها فيما بعد منظمة اليونسكو لترجمتها إلى الإنجليزية تحت مشروعها، ونشرت ترجمتها الانجليزية في كل من أمريكا وانجلترا تحت إشراف اليونسكو، وقد هاجر نص الرواية إلى ستة عشرة لغة أخرى، ويعترف بها على وجه العموم كأحدى أحسن الأعمال الأدبية العالمية، وأن الترجمة العربية لرواية "شمين" نتيجة جهد عالم هندي الذي نال شهرة واسعة وسمعة طيبة على الصعيد الوطني والعالمي الأستاذ الدكتور محي الدين الألواني الأزهري، الذي نقلها إلى العربية من النص الملايلاي الأصلي، وقد راجعه الدكتور طه عبد الحميد طه، أستاذ جامعة عين الشمس بالقاهرة. وقد أصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية بنيودلهي تحت برنامجه لترجمة أهم الآداب الهندية الكلاسيكية والحديثة إلى اللغات الأخرى، التي من بينها اللغة العربية، والأعمال التي صدرت إلى الآن بالعربية من هذه السلسلة "شكنتالا" (Shakuntala) وهي مسرحية بديعة للشاعر الكلاسيكي الشهير "كاليداسا" (Kalidasa) عربها الفقيه الكريم وديع البستاني من لبنان ومن إصدارات المجلس التراث الهندي للراحل الكريم البروفسور هومايون كبير، وهو كتاب يستعرض بانسجام منسق الثقافة الهندية من عصورها القديمة إلى الأونة الحاضرة، وبجانب ذلك أصدر المجلس قصة غرامية خالدة أخرى "نلا - ديمنتي" (Nala & Dayamanti) بتعريب الفقيه اللبناني الكريم وديع البستاني.

وهذه قصة للمسكين البؤساء العائشين في الساحل الغربي من أقصى جنوب الهند، فهي صورة رائعة لأحسن الروايات المؤلفة في لغة مليالم في الأدب الهندي، وقصتها وفصولها مستمدة من الماضي الحي، وتزخر بالعواطف وتفيض بصور الآلام البشرية لمجتمع الصيادين في إحدى سواحل ولاية كيرلا، ويعرض فيها المؤلف الحالات الاجتماعية لهؤلاء الصيادين ومعتقداتهم وعاداتهم وطقوسهم بأسلوب متدفق بالحيوية والحساسية، ويصورها بأدق الانفعالات وخلجات النفس حتى صارت في مصاف الروايات العالمية الكبرى في دقة التصوير وحسن العرض.

قراءة في "شمين" وفق نظريات الترجمة الأدبية

وعند تحليل النص الأدبي المترجم لا يمكن تجاهل قضية المعنى في نظرية الترجمة بما أن الترجمة تنطلق من المعنى وبما أن مختلف عمليات الترجمة بين اللغات تتم داخل نطاق المعنى، وما يهم من علم الألسنيات ومناقشة للمعنى، هو المعنى الإضافي الذي تحمله الكلمة والذي يشار إليه بعبارات متعددة كالمعنى العاطفي (emotive meaning) أو المعنى الإيحائي (evocative meaning) أو المعنى الدينامي (dynamic meaning) فبالإضافة إلى الدلالة الذاتية (denotation)، هناك معنى آخر هو ضمني (connotation) تثير الكلمة عند القارئ أو عند أغلبية القراء، وهذا المعنى الضمني هو مجموعة من الرموز التي تعدل الدلالة الذاتية ويؤكد موانع على أن هناك معايير خاصة باللغة تعطي القارئ معلومات إضافية عن الكاتب وشخصيته وفننه الاجتماعية وأصله الجغرافي وحالته النفسية عند الكتابة وان هذه المعايير الخاصة أو الإضافية - مهما أعطيناها من إسم - هي جزء من اللغة ويجب أن تترجم هي أيضا (١). وهنا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر يسرد هذا النص من ترجمة رواية "شمين" والذي يحمل المعنى الإيحائي للغرام الكامن بأروع صورة:

" هزت رأسها وقالت :

لا- لا أكمل الإسم

- فأذن أنا أيضا لا أخاطبك "كروتما"

ثم بماذا تخاطبني؟

أخاطب "والياماراتاتي "

فضحكت كروتما وضحك فريكوتي أيضا واستغرق كل منهما في الضحك فترة طويلة! فلماذا هذا الضحك الطويل؟ وما هو السر الكامن وراء هذا الضحك المستمر وبدون انقطاع؟

- طيب عندما يأتي القارب والشبكة، فهل توصي أنت يا "والياماراتاتي" والدك لبييع لنا حصيلة شباكة من الأسماك؟ فأجاب كروتما: إ ذا دفعت الثمن المناسب نبيع لك الأسماك.

فضحكا مرة أخرى، فما الذي يدعو إلى الضحك في هذا الكلام؟ هل فيه نكتة مضحكة...؟ هل يستطيع الإنسان أن يفهقه عند كل كلام؟ وامتلات عينا كروتما بالدموع من كثرة الضحك، وقالت في صعوبة خانقة: لا تضحكني كثيرا يا كوشومودلالي،

وطلب منها كذلك فريكوتي ألا تضحكه

- يا للعب! ماذا حدث لكوشومودلالي؟! (٢)

ويعتبر المكافئ (equivalence) من القضايا الأساسية المثيرة للجدل في نظرية الترجمة ويرتبطها بالمعنى والقابلية للترجمة ونتج عن المكافئ عدد من التصنيفات منها المكافئ الشكلي (formal equivalence) مقابل المكافئ الدينامي

١. عهد شوكت سيول، (٢٠٠٥) "الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق"، رسالة الماجستير من الجامعة الأمريكية في بيروت، صفحة: ٢٤

٢. تكازي شيوا شنكارا بلاي، (١٩٧٠)، "شمين" (السمكات الصغيرة)، ترجمة الدكتور محي الدين الألواني، نيودلهي - الهند: مجلس الهند للروابط الثقافية، صفحة: ١٢

(dynamic equivalence) والمكافئ الشكلي مقابل المكافئ العملي (pragmatic equivalence) والمكافئ اللغوي (semantic equivalence) مقابل المكافئ الإبلاغي (communicative equivalence) والمكافئ الصريح (overt equivalence) مقابل المكافئ المضمّر (covert equivalence). فالمكافئ الشكلي يراعي النص الأصلي شكلا ومضمونا والهدف من اعتماده هو السماح للقارئ الترجمة بأن يتعاطى مع النص مع قارئ النص الأصلي وأما المكافئ الدينامي فيراعي متطلبات وأحكام اللغة المترجم إليها، ويعتبر الأسلوب السلس والتراكيب الطبيعية للغة من أوليات المكافئ الدينامي بالإضافة إلى تقريب النص المترجم من ثقافة القارئ(١). ونضرب هنا مثلا القطعة التالية، أن المترجم هنا ترجم التعبير الإصطلاحي (idiom/phrase) المليالي (vayil thenoorunnu) (هنا كناية لإزدياد الإشتياق إلى الحبيب) بالمكافئ الشكلي اللغوي:

"فسألت كروتما وهي مستاعة من هذا الرد

- اليس هو واجب الدفع؟

ليس هذا هو قصدي يا بنتي، ولكن إذا تأخرنا في الدفع فلا يسلب منا احد القارب والشبكة.

لأن كوشومودلالي طيب القلب

وسألت جكي متظاهرة بالغضب:

ما هذا يابنت؟ كلما يذكر اسم كوشومودلالي تسيل فمك عسلا." (٢)

والمبادلة (transposition) هو الاستعاضة عن مفردة من فئة معينة بمفردة من فئة أخرى دون تغيير المعنى، وقد تكون المبادلة إلزامية أو إختيارية. والتعديل (modification) هو تعديل في شكل المرسل من خلال تغيير وجهة النظر أو التركيبية المستخدمة في النص الأصلي وذلك بهدف توضيح الفكرة ويلتجأ المترجم إلى هذا الإجراء عندما يلاحظ أن الترجمة الحرفية تعطي نسا قد يكون صحيحا من حيث قواعد اللغة المترجم إليها، لكنه يتضارب مع عبقرية اللغة (٣). والأقلمة/التكيف (adaptation) هي التصرف في الترجمة واستبدال الواقع الاجتماعي الثقافي في النص الأصلي بما هو مقابل له في ثقافة المترجم إليها حرصا على المعنى إذا كان الظرف الموصوف في النص الأصلي غريبا تماما عن اللغة المترجم إليها، واستراتيجيات التعديل والأقلمة كثيرة في ترجمة "شمين" ولا تسع القراطيس هنا لسردها.

والنصوص بدورها هي جزء من مجموعات ثقافية من خلالها تعبر عن رؤى مختلفة للعالم والتي يمكن من جهة أخرى أن توجد في حالة مواجهة داخل نفس النظام الأولي للتقطيع الصوتي والمفرداتي والتركيبية إلى درجة أنها تجعل مما يمكن تسميته بالثقافة الوطنية أو الجالياتية شبكة من رؤى العالم في منافسة غير منظورة أو مفتوحة(٤). والمترجم غير قادر على نقل الجالياتية/الهوية الثقافية الحضارية بدقة لما أن النص نفسه جزء من مجموعات ثقافية، فنتناول مثلا قضية غياب الفهوم التاريخي والثقافي في الأدبية، وها هنا مستهلّ ترجمة الرواية بهذا الخصوص:

" قالت كروتما: أنت تعلم أن أبي سيشثري عما قريب قارب صيد وشبكة

١. عهد شوكت سيول، (٢٠٠٥) "الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق"، رسالة الماجستير من الجامعة الأمريكية في بيروت، صفحة: ٧١
٢. تكازي شيوا شنكارا بلاي، (١٩٧٠)، "شمين" (السمكات الصغيرة)، ترجمة الدكتور محي الدين الألواني، نيودلهي - الهند: مجلس الهند للروابط الثقافية، صفحة: ٤٦
٣. عهد شوكت سيول، (٢٠٠٥) "الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق"، رسالة الماجستير من الجامعة الأمريكية في بيروت، صفحة: ٦٧
٤. بول ريكور، (٢٠٠٨)، "عن الترجمة"، ترجمة حسين خمري، بيروت: الدار العربية للعلوم. صفحة: ٨٩

فقال فريكوتي: يا بختك يا كروتما!

ولم تحر كروتما جوابا، ولكنها تجاوزت فورا من لحظة المفاجأة وقالت:

- لكن ليس عندنا ما يكفي من النقود، فهل تعطينا بعض الروبيات قرضا؟

فأجاب فريكوتي باسطة يديه:

- ومن أين لي بالمال؟

وضحكت كروتما وقالت:

- ولماذا تدعي بنفسك "كوشومودالالي"؟

- لماذا تخاطبين "كوشومودالالي" يا كروتما؟

- فماذا أخاطبك إذن؟

- فريكوتي

ونطقت كروتما "فري...." ثم فهقتهت، فطلب منها فريكوتي أن تكمل إسمه ولكنها تغلبت على الضحك وتظاهرت بالجد وهزت رأسها" (١)

وأن المترجم عقب في ذيل أن "كوشومودالالي" لقب يطلق على شاب مسلم تاجر في منطقة كيرلا، ولكنه لا يوحى تماما الخلفيات الثقافية الحضارية ل "كوشومودالالي" كما يتبادر إلى أذهان الكيرلاويين بالبداهة، فيجدد بنا الذكر أنه يلاحظ في الترجمة الأدبية قضية غياب المفهوم الثقافي والتاريخي بدون جدال. وفي نفس الوقت يسرد المترجم هنا معتقدات هذه الجالية في صورة لا بأس بها:

"هل تعرفين يا بنتي كيف يعود الرجال الذين يذهبون الى أعماق البحر ويتعرضون لأنواع من المخاطر في عرضه الواسع سالمين غانمين؟ إنما هو بسبب عفة النساء اللاتي في السواحل، وحسن سلوكهن، والا ابتلعتهن الامواج الزاخرة مع قواربهم وشباكهم، وان ارواح الصيادين في عرض البحر أمانة في ايدي نسانهم في البر. ثم أسدت جكي لابنتها نصيحة قيمة:

- العفة هي كل شيء يابنتي وأن رأس مال الصياد هو عفة زوجته" (٢)

والإلهام في الترجمة ضروري في نقل روائع الآداب الاجنبية وآياتها الخالدة فبدونه تغدو ميتة لا روح فيها والفرق بين الترجمة الملهمة والاعتيادية كالفرق ما بين الشعر والنظم، والمترجم الملهم ينبغي أن يكون ما كان عليه إبراهيم المازني حين وصفه العقاد إذ قال " استطاع بترجمته أن يرد الكلام أصيلا كأنه لم يكتب قبل ذلك بلغة أخرى، ولم يصدر عن قريحة سابقة فقد كان يترجم الكلام في سليقته شعورا قبل أن يترجم لفظا ومعنى وفيجيش كما جاش به صاحبه، ويعبر عنه بعد ذلك كأنه ينقل قطعة من حسه وخياله (٣)" وها هنا يستلهم مترجم "شمين" في إبداع ترجمته عندما يصف نهاية الرواية حيث يقول: "وكان بلاني يواجه العواصف الهوجاء، ويخرق الأمواج الزاخرة بقواربه ليلا ونهارا، وأبرقت

١. تكازي شيو شنكارا بلاي، (١٩٧٠)، "شمين" (السماكات الصغيرة)، ترجمة الدكتور محي الدين الألواني، نيودلهي - الهند:

مجلس الهند للروابط الثقافية، صفحة: ٤

٢. نفس المصدر، صفحة: ١٤

٣. د/ صفاء خلوصي، (١٩٨٢)، "فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة"، الجمهورية العراقية: دار الرشيد للنشر، صفحة: ١٢٤

السماء وأرعدت، وأطلقبلاني عنان حبل الصنارة وإذا جذب به يقف القارب، وفتكسره الأمواج، وسمح لسمكة البحر لتجر قاربه إلى حيث شاءت!، وكلما ترتفع دفة القارب فوق رأس موجة هانجة يقفز بلاني الى فوق ليخفف وطأة القارب وعند ما يستقر القارب فوق قمة الموجة يثبت قدميه في قاعه، والبحر يريزخ في وجه الصياد المسكين!.

ويرغو في وجهه سخطا وغيظا، وتزيد هذا الصراخ شدة وضجة تلك الرياح العاصفة، ويصفق له الرعد، ويا للهول لهذا المشهد الرهيب! وهل أطلق البحر هذه القوى الصارمة كلها للانتقام هذا الانسان الضعيف؟ أليس في إمكانه أن يجلبه إلى هوته السحيقة بطريقة أقرب ووسيلة أسهل؟ وربما وصلت هذه الامواج الزاخرة الى الساحل واكتسحت منازلها، وأهلك أهاليه، ولعلّ حيات البحر السامة قد سعت في الشاطئ، ورأى بلاني شبعا مخيفا يتوجه نحوه من بعيد، وهل هو قمة موجة هانجة أخرى؟ أم هو رأس حيوان بحري مفترسة يفتح فاه ليبتلعه؟ وهل خارت قوى ذلك الصياد المحنك؟ وقفز خائفا الى الفوق عندما قربت اليه موجة هانجة، ولكن جسمه قد تناقل وأظلمت في عينه السماء، وتجمدت المياه حوله، وصرخت في أذنيه العواصف وأندرت بحرب شعواء، وارتفع قاربه فوق موجة زاخرة فانقلب على ظهره، وعلق بلاني بظهر القارب المقلوب، وأنشب أظافره عليه لنلا يترامى في أحضان البحر، وتنفس بلاني بشدة فصاح: كروتما"(١) ونستنتج مما تقدّم أن نقل النص الأدبي إلى لغة الهدف مستحيل تماما، وإذا ترجم النص الأدبي إلى لغة فهو إبداع أدبي مستقل، وأن عملية الترجمة الأدبية لا يمكن إلا على يد أديب حتى أن نسميها التحويل الإبداعي (trans-creation) لما أن القابلية للترجمة للنص الادبي قليلة جد قليلة، ويبقى دائما غير مكتملة الأبعاد. وهذا سرّ قضية تعددية النص المترجم في لغة مقصودة واحدة، إنما تظهر تعددية النص المترجم في النصوص الادبية فقط ولا تظهر في النصوص العلمية.

المصادر والمراجع

١. تكازي شيوا شنكارا بلاي، (١٩٧٠)، "شمين" (السمكات الصغيرة)، ترجمة الدكتور محي الدين الألواني، نيودلهي - الهند: مجلس الهند للروابط الثقافية.
٢. د/عبده عبود، (١٩٩٥)، "هجرة النصوص: دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي"، دمشق: منشورات إتحاد الكتاب العربي.
٣. بول ريكور، (٢٠٠٨)، "عن الترجمة"، ترجمة حسين خمري، بيروت: الدار العربية للعلوم.
٤. د/ صفاء خلوصي، (١٩٨٢)، "فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة"، العراق: دار الرشيد للنشر.
٥. الدكتور بشير العيسوي، (١٩٩٦)، "الترجمة الى العربية: قضايا وآراء"، مصر: دار الفكر العربي.
٦. عهد شوكت سيول، (٢٠٠٥) "الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق"، رسالة الماجستير من الجامعة الأمريكية في بيروت، وصالحة للتحميل من المصطفى. نت.
٧. د/سعيدة كحول، "نظريات الترجمة: بحث في المهامية والممارسة"، بدون سنة الطباعة وصالح للتحميل من الموقع المصطفى نت.

8. Thakazhiyude Novalukal, DC Books,2004

١. تكازي شيوا شنكارا بلاي، (١٩٧٠)، "شمين" (السمكات الصغيرة)، ترجمة الدكتور محي الدين الألواني، نيودلهي - الهند: مجلس الهند للروابط الثقافية، صفحة: ٢٤٦